ادارة الولايات المتحدة الامريكية للأزمات الدولية (مبدأ ترومان انموذجا)

The United States of America’s management of international crises (the Truman Doctrine as a model)

ا.م.د احمد عبدالواحد عبدالنبي

قسم دراسة الأزمات/مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية / جامعة بغداد

Assistant Professor Dr. Ahmed Abdul Wahid Abdul Nabi Alhelfe

Centre for Strategic and International Studies

University of Baghdad

شكلت الحرب الباردة مرحلة جديدة في تاريخ العلاقات الدولية، اتسمت بإعادة بناء العديد من المفاهيم التي كانت متواجدة منذ قدم البشرية ومنحها الأولوية في الخطابات السياسية لارتباطها المباشر بالظواهر الدولية، ومن بين الكم الهائل من هذه المفاهيم نجد "مصطلح الأزمة" والذي يُعد من المصطلحات الأكثر استخداماً في عصرنا الحالي الذي يمكن وصفه بعصر الأزمات، فأزمات اليوم مست كل جوانب الحياة وأضحت متواجدة على الكافة الأصعدة والمستويات، سواءً على المستوى الفردي بمواجهة الفرد لأزمات نفسية واجتماعية في حياته اليومية، أو على المستوى الوطني بمواجهة الحكومات والمؤسسات لأزمات سياسية واقتصادية، وكذا على المستوى الدولي ببروز ما يُعرف اليوم بالأزمات الدولية ذات الامتدادات العابر للقومية وهي محل الدراسة في هذا اليوم .فالأزمة الدولية عبارة عن موقف ينشأ نتيجة قيام إحدى الدول بعمل مفاجئ من شأنه تهديد الأهداف الحيوية لدولة ما أو عدة دول ويترتب عليه وجوب قيام الدولة أو الدول المهددة بتصرف معاكس وسريع .والأزمة الدولية هي ظاهرة سياسية عرفتها العلاقات بين المجتماعات الإنسانية حتى قبل أن تأخذ هذه المجتمعات شكل الدول، وقبل ان تسمى الأزمات التي تطرأ على علاقاتها بأنها ازمات دولية .

وقد تعددت تعريفات الازمة الدولية بتعدد اراء الباحثين والمدارس الفكرية والسياسية و التاريخية.حيث عرفها (فوالتر ريموند)مؤلف قاموس المصطلحات السياسية تعريفا واسعا حدد مفهومها على انها حدوث خلل جسيم في العلاقات الطبيعية بين الدول ذات السيادة بسبب عجزها عن حل نزاع قائم فيما بينها . اما (اوران يونغ) الكاتب السياسي فوصفها بانها تداع سريع للأحداث يؤدي إلى تنشيط عناصر عدم الاستقرار في النظام الدولي او في نسقه الفرعية على نحو غير مألوف بشكل يزيد من احتمالات اللجوء للعنف .اما الباحث السياسي (استير بوتشان) فقد جمع في تعريفه الازمة وادارتها معا حينما وصفها بأنهما حدوث تحد متعمد يقابله رد فعل مدروس، وفي هذه العملية يسعى كل من طرفي النزاع على توجيه الأحداث لصالحه ويمتد النطاق الزمني للازمة من فترة حدوث التحدي وصدور القرار اللازم لمواجهته وتأثير هذا القرار على الخصم ورد فعله عليه.

من ناحيتها عرفتها المؤرخة السياسية (كورال بيل) بانها وصول عناصر الصراع في علاقة ما إلى المرحلة التي تهدد بحدوث جذري في طبيعة هذه العلاقة مثل التحول من السلم إلى الحرب في العلاقات الطبيعية بين الدول والتفسخ في علاقات التحالف والتصدع في تماسك المنطقة الدولية . في تعريف الازمة الدولية الكاتب السياسي (وليم كوانت) فقال عنها بانها مزيج من المفاجأة و الخطر وعدم اليقين. واخيراعرفها مجمع سلوك الازمة الدولية بانها تعبر عن موقف ناجم عن حدوث تغيير في البيئة الخارجية او الداخلية للقرار السياسي، ويتسم هذا القرار بثلاث خصائص رئيسية في تصور السلطة العليا لصناع القرار السياسي:

1. قيام تهديد للقيم الاساسية للمجتمع.
2. ترجيح الدخول في مواجهة عسكرية.
3. ادراك ان هناك وقتا محددا للرد على هذا التهديد.

ويختلف مفهوم الأزمة الدولية عن مفهوم الصراع الدولي، خاصة وأن كلمة الصراع غدت شائعة في العلاقات بين الدول وأصبحت تطلق على أوضاع كثيرة كذلك بإعتبارات مرتبطة بالإحساس بالخطر تفتعله الدول أحيانا لتحقيق مكاسب أو أهداف سياسية .وظاهرة الصراع هي إحدى حقائق العلاقات الدولية منذ فجر التاريخ، فلا غرابة أن تمثل قضية السيطرة على الصراع أو ضبطه هي الأخرى أزمة الوجود الإنساني على مدى الدهور، وخاصة في الوقت الحاضر في ظل رعب الأسلة النووية والكيماوية والجرثومية.ولذلك حظيت الدراسات الخاصة بالصراعات الدولية بإهتمام كبير وان اختلف الباحثون حول الهدف والمناهج والنظريات .

ولا توجد حتى يومنا هذا نظرية متكاملة للصراع في مختلف فروع العلوم الإنسانية، إذ إن كل فرع منها يبحث في جانب من جوانب الصراع، ويسهم بقدر كبير في فهم هذا الجانب أو ذلك وتقييمه وفقا لمعايير محددة وطريق بحث خاصة .ويمكن كذلك القول- بصفة عامة – إن مفهوم الأزمة يختلف عن مفهوم الصراع مثلما يختلف مفهوم الأزمة عن مفهوم التنافس- فقد يقوم التنافس بين طرفين للحصول على موارد معينة ولكن دون أن يعمل أحدهما على منع الطرف الاخر من تحقيق أهدافه، إما لعدم إدراكه لهذا التنافس، أو لعدم مقدرته على تصرفات منافسة.ولا يتحول التنافس إلى مرحلة الأزمة إلا عندما يتجه أحد الأطراف إلى تقوية مركزه ومنع الأطراف الأخرى من ذلك، أي إخراجها من نطاق المنافسة.كما يختلف مفهوم الأزمة الدولية عن مفهوم التوتر الذي يتضمنه الشعور بالعداء أو الخوف أو التشكك، إذ أن التوتر حالة نفسية تنتج عن إدراك لاختلاف المصالح بين طرفي أو أكثر، أما الأزمة الدولية فتتجاوز ذلك لتأخذ شكل معارضة صريحة وفعلية.وبعبارة أخرى فإن التوتر يسبق الأزمة ويظل دائما مصاحبا لها وعادة ما يبقي محصورا في نطاق الإدراك والوجدان، ولكن ليس بالضرورة انعكاسا لأزمة أو مؤديا إليها لأنه لا يتعارض دائما مع التعاون، فمثلا قد تمر العلاقات داخل تحالف معين بحالة من التوتر لإختلاف وجهات النظر بين أعضائه، ولكن هذا التوتر قد لا يتبلور حتما في صورة ازمة. واذا ما بلغ التوتر درجة من الحدة، فقد يكون عاملا من عوامل حدوث الأزمة حيث إنه يؤثر على عملية اتخاذ القرار.كذلك يجب التمييز بين مفهوم الأزمة ومفهوم النزاع، فلفظ نزاع هو لفظ تقليدي ارتبط بمفهوم قانوني يتعلق بحقوق والتزامات الدول. أما مفهوم الأزمة فهو أوسع نطاقا لأنه يتعلق بقوة أحد أطراف الأزمة وقدرته على فرض رأيه بصرف النظر عن التكييف القانوني لموضوع الخلاف فالفارق بين النزاع والأزمة هو الفارق نفسه بين الحق والقوة.

وعلى اساس ما ذكر فقد استغلت الولايات المتحدة الامريكية الأزمات الدولية بغية تحقيق مصالحها العليا ومن ذلك ادراتها للأزمات الدولية من خلال مايعرف في التاريخ الامريكي المعاصر بـ (مبدأ ترومان) هو سياسة خارجية أمريكية نشأت بهدف رئيسي يسعى إلى احتواء التوسع الجيوسياسي السوفييتي خلال الحرب الباردة .أُعلن المبدأ أمام الكونغرس من قبل الرئيس (هاري إس. ترومان) في عام 1947، وتطور بشكل أكبر في عام 1948 حين تعهد باحتواء الانتفاضات الشيوعية في اليونان وتركيا. لم تتدخل القوة العسكرية الأمريكية المباشرة أغلب الأحيان،بفضل اسلوب ادارة الازمات في الولايات المتحدة ، إلا أن الكونغرس خصص مساعدات مالية لدعم اقتصادات وجيوش اليونان وتركيا. ان ادارة هذه الازمة الدولية جاءت عن طريق المزيد من إجراءات وبرامج اقتصادية وخطط عسكرية في السياسة الخارجية الأمريكية لإدارتي الرئيس ترومان الأولى والثانية وسياسة فتح الأبواب على مصراعيها إزاء العالم

والانغماس المكثف في الشؤون الدولية .وبشكل عام، تضمن مبدأ ترومان الدعم الأمريكي للدول الأخرى التي يعتقد أنها تحت تهديد الشيوعية السوفييتية. وبات مبدأ ترومان أساس السياسة الخارجية الأمريكية وأدى في عام 1949 إلى تشكيل حلف شمال الأطلسي، وهو تحالف عسكري ما يزال قائمًا. غالبًا ما يستخدم المؤرخون خطاب ترومان كتاريخ بداية الحرب الباردة.

قال الرئيس ترومان للكونغرس إنه : "يجب أن تتمثل سياسة الولايات المتحدة في دعم الشعوب الحرة التي تقاوم محاولات الإخضاع التي تقوم بها أقليات مسلحة أو ضغوط خارجية". ثم أكد أنه نظرًا إلى أن الأنظمة الشمولية كانت –تقمع- الشعوب الحرة، فإنها تمثل تلقائيًا تهديدًا للسلام الدولي والأمن القومي للولايات المتحدة. وعلى اساس ذلك قدمت الولايات المتحدة هذه الذريعة في خضم الحرب الأهلية اليونانية بدعوى أنه إذا لم تتلق اليونان وتركيا المساعدة، فسوف تسقطان حتمًا في قبضة الشيوعية مع عواقب وخيمة في جميع أنحاء المنطقة. ونظرًا إلى كون تركيا واليونان خصمين تاريخيين، فقد كان من الضروري تقديم المساعدة لكلتا الدولتين على حد سواء على الرغم من أن الأزمة في اليونان كانت أكثر حدة بكثير.

لاحظ منتقدو تلك السياسة أن حكومتي اليونان وتركيا كانتا بعيدتان كل البعد عن الديمقراطية في تلك الآونة، ولم تكن أي منهما تواجه –تخريبًا- سوفييتيًا .ومهما يكن من الامر .فأن المبدأ شكل سابقة في ادارة الولايات المتحدة للازمات الدولية عبر المساعدة الأمريكية للأنظمة المعادية للشيوعية في جميع أنحاء العالم، مهما كانت غير ديمقراطية، ولإقامة مجموعة من التحالفات العسكرية العالمية الموجهة ضد الاتحاد السوفييتي. ولأجل ذلك فقد حاز مبدأ ترومان على تأييد الكونغرس وتضمنت إرسال 400 مليون دولار ولكن دون إرسال قوات عسكرية إلى الإقليم. وفعلا أتت تلك المساعدات اكلها فقد انضمت كل من اليونان وتركيا إلى حلف شمال الأطلسي، وهو تحالف عسكري، بهدف ضمان استقرارها بزعامة الولايات المتحدة.

ويمكن القول اجمالا ان انموذج ترومان ومبدئه في حل الازمات الدولية بالنسبة لأمريكا اصبح أساس سياسة الحرب الباردة الأمريكية في جميع أنحاء أوروبا والعالم. وقد حول المبدأ السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الاتحاد السوفييتي من تحالف مناهض للفاشية إلى سياسة احتواء التوسع السوفييتي كما دعا إليها الدبلوماسي جورج كينان. وقد جرى التمييز بين المبدأ وبين سياسة تغيير الأنظمة من خلال التسامح ضمنيًا مع عمليات الاستيلاء السوفييتية السابقة في أوروبا الشرقية.وقد بدت الولايات المتحدة وكأنها شرطي العالم في إدارتها للازمات الدولية والمشاكل وتصديها للعديد من القضايا والشؤون الدولية. حتى انها مثلت حقبة زمنية مهمة في تشكّل التاريخ العالمي المعاصر ورسم ملامح الصورة التي لايزال يبدو عليها حتى الوقت

الراهن . وهي صورة لاتختص ، بطبيعة الحال ، بتاريخ الولايات المتحدة الأمريكية فحسب ، بل بتاريخ دول العالم وشعوبه قاطبة .